من أبعاد البعثة إثارة الأفكار وتهذيب الأخلاق

المكان: طهران

المناسبة: البعثة النبوية الشريفة

الحضور: مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلامية

التاريخ: ٢٩/٣/١٣٩١هـ.ش ـ ٢٨/٧/١٤٣٣هـ.ق ـ ١٨/٠٦/٢٠١٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبارك هذا العيد الكبير لكم أيها الحضور المحترمون في هذه الجلسة الرائعة، وخصوصاً الضيوف الحضور من بلدان أخرى في هذه الجلسة، وكذلك سفراء البلدان الإسلامية المحترمون. كما نبارك للشعب الإيراني الكبير الذي جعل البعثة وجهة مسيرته وعمله، وجاهد وتحمّل الصعاب من أجل تحقيق الأهداف الكبرى لبعثة خاتم الأنبياء، وقد شمله الوعد الإلهي والحمد لله، فقد وعد الله تعالى الشعوب السائرة في هذا الدرب بالفتح والتقدم والسعادة، ووعد الله تعالى لا خلف فيه. كما نبارك هذا العيد الكبير للأمة الإسلامية التي توجّهت اليوم بعد عشرات السنين نحو الدين المحمدي. بعد أن جرّب المستنيرون والنخبة والرواد من الشعوب المسلمة طوال الأعوام المتمادية المدارس والدعوات والمذاهب والإيديولوجيات الشرقية والغربية، وأدركوا إخفاقها وعقمها، صار توجّه الأمة

الإسلامية اليوم وإقبالها على مضمون البعثة وأهداف بعثة الرسول الأكرم ﷺ. اليوم يوم مبارك عليهم، ونتمنى أن تتمتع البشرية كلها ببركات هذه البعثة.

ما أريد أن أقوله اليوم هو أن للبعثة جهات وأبعاداً. حُزم النور التي سطعت على البشرية من هذا الحدث ليست واحدة أو اثنتين، لكن البشرية اليوم بأمسّ الحاجة لقضيتين ناجمتين عن البعثة: إحداهما إثارة الأفكار والتفكير، والثانية تهذيب الأخلاق. إذا جرى تأمين هاتين المسألتين فسوف تؤمّن المطاليب القديمة للبشرية. سوف تؤمّن العدالة والسعادة والرفاه الدنيوي. المشكلة الأساسية كامنة في هذين الجانبين.

قال عليه وآله الصلاة والسلام: «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[1]. وقال القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[2]. وبعد التزكية يقول: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[3]. هذا هدف سام.. تزكية النفوس وتطهير القلوب ورفع الأخلاق البشرية وإنقاذ البشر من مزبلة المعضلات الأخلاقية والضعف الأخلاقي والشهوات النفسية. هذا مقصد وهدف.

وقضية التفكر أيضاً قضية أساسية ومهمة، وهي لا تختص بنبينا، فكل الأنبياء بعثوا لأحياء القوة العاقلة وطاقة التفكير لدى البشر. يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة في نهج البلاغة: «ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته،... ويثيروا لهم دفائن العقول»[4]، بعث الأنبياء ليثيروا دفائن العقل

---

[1] مجموعة ورام، ج ١، ص ٨٩ .

[2] سورة الجمعة، الآية ٢ .

[3] المصدر السابق.

[4] نهج البلاغة، الخطبة رقم ١ .

وكنوزه الدفينة في داخل البشر وباطنهم ويستخرجوها.

نحن أبناء البشر لدينا موهبة تفكير عظيمة كامنة في داخلنا. حينما لا نتدبّر في الآيات الإلهية، وفي تاريخنا، وفي ماضينا، وفي الأمور والقضايا المختلفة التي حدثت للبشرية، وفي مشكلات الماضي، وفي عوامل الانتصارات الكبرى للشعوب، نبقى محرومين من الكنوز المعنوية التي أودعها الله فينا. «و يذكروهم منسي نعمته، .. ويثيروا لهم دفائن العقول». البشرية اليوم بحاجة لهذين الأمرين.

المجتمعات البشرية بحاجة إلى التفكير والتأمل في مكمن تعاسة الإنسان؟ وهل يوجد شك في وجود ظلم، ووجود تمييز، ووجود منطق مزدوج وكيل بمكيالين يسود القوى المهيمنة على العالم؟ الظلم البارز الذي يجري على البشرية في الوقت الراهن مشهود من قبل الجميع. الظلم الذي تمارسه القوى المسيطرة على الشعوب العزلاء من أدوات الدفاع قائم أمام أنظار الجميع، وأنتم ترونه. تنطلق قوة وتزحف عن بعد آلاف الكيلومترات وتأتي إلى هنا إلى منطقتنا وتفرض سلطتها وهيمنتها بالقوة على بلد أعزل لا قدرة له ولا إمكانيات، فتبدّل مواكب الأعراس إلى عزاء، وتصبّ مروحياتهم الموت على رؤوس الناس. تهدم بيوت الناس، وليس بوسع أحد أن يقول لهم شيئاً، ولا هم يعتذرون عن أفعالهم! هذا هو واقع العالم. وهو كذلك حتى في البلدان المتقدمة. حين تلاحظون الواقع الاقتصادي اليوم تجدون نفس الحالة. قضية أوربا اليوم ليست حلّ مشكلة الناس بل حلّ مشكلة البنوك وأصحاب الرساميل والثروات الهائلة. هذه هي مشكلتهم اليوم. أبناء البشر والجنس البشري ليسوا مهمّين للقوى المهيمنة. هذه حقائق موجودة في العالم. لتفكر البشرية في مصدر هذه الحالة؟ في مصدر نظام الهيمنة، ومصدر وجود قطبين أحدهما مهيمن والثاني خاضع للهيمنة. كما أنه لو لم يكن هناك إنسان مهيمن فإن نظام الهيمنة

سيزول، كذلك إذا لم يقبل الخاضع للهيمنة بهيمنة الأعداء والعتاة فإن نظام الهيمنة سيزول. هنا يكون الواجب على عاتق الشعوب. وفي داخل الشعوب يقع الواجب على عاتق النخبة السياسية والثقافية.

الشياطين التابعون لأجهزة الاستكبار حينما يشاهدون تحركاً كبيراً وتحرريا تقوم به الجماهير في أي مكان من العالم ـ ويكون هذا التحرك خالصاً وأصيلاً ـ يركزون كل طاقاتهم وقدراتهم لتبديل هذا التحرك إلى ضده أو يبطلون مفعوله. ترون ما يحدث في منطقتنا حالياً. يثور الناس في البلدان للتحرّر من التبعية لأمريكا ومن الذل في مقابل الهيمنة الصهيونية، ولإبداء البغض والكراهية لوجود هذه الغدة السرطانية في قلب البلدان الإسلامية، فتنطلق كل الأجهزة السياسية والمخابراتية والمالية الاستكبارية والتابعة لها لإحباط هذا التحرك. هذه هي القضية.

على الشعوب أن تقف على أقدامها. وعليها الاستفادة من نعم التفكير والعقل التي منّ الله بها عليها. على الشعوب أن تعتمد على نفسها وطاقاتها وربّها. عليها إبداء حسن ظنها بالله. لقد وعد الله تعالى: ﴿لَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٥]. هذا تأكيد إلهي. حينما تقف الشعوب وتقاوم وتصمد فسوف تنتصر بلا شك. والنموذج الحي لذلك هو شعبنا. يحاول العدو بآلاف الوسائل والأدوات الإعلامية أن يبعد الحقائق عن أنظار الناس في العالم، لكن الواقع هو ما نشاهده. طوال هذه الأعوام الثلاثة والثلاثين، ومنذ اليوم الأول، تعرّضت

[٥] سورة الحج، الآية ٤٠.

ثورتنا وشعبنا وبلدنا العزيز للهجمات والمؤامرات. جاءت سياسات مختلفة واختلفت في مائة قضية لكنها اتفقت على مواجهة الثورة الإسلامية، وتوجيه الضربات للجمهورية الإسلامية وإقصاء هذا النموذج الحي عن الساحة لكي لا يكون أمام أنظار المسلمين، ومارسوا كل هذا بمختلف الأساليب. وكذا الحال اليوم أيضاً.. تعاضدوا عسى أن يستطيعوا إقصاء الشعب الإيراني عن الساحة. وأقولها لكم إنهم سوف يخفقون قطعاً ويقيناً وبنحو تام في مساعيهم هذه.

طبعاً لا يمكن الانتصار من دون جهاد وتحرك وتقبّل للأخطار. لم يعد الله تعالى أحداً بالنصر من دون تحرك. ولا يكفي لذلك مجرد أن يكون المرء مؤمناً متديناً، بل لا بد من الجهاد والصبر. ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾[٦]. هذا كلام الأنبياء لمعارضيهم.. إننا نصمد ونقاوم. لقد صمد الأنبياء والرسل. ومنطق الأنبياء اليوم رغم كل ما تعرضوا له من القمع هو المنطق الشائع في العالم. لقد انتشر كلام الأنبياء ولم ينتشر منطق الفراعنة. وهذه المسيرة وهذه التوجّهات سوف تزداد يوماً بعد يوم. لا بد من الصبر والصمود. لقد أبدى شعبنا عن نفسه هذا الصمود والثبات. وأعداؤنا لا يريدون أن يفهموا ويستفيدوا من التجارب الماضية. يجب أن يعلموا أن اللجاجة والتكبّر وجنون العظمة مقابل هذا الشعب وتوقع أمور في غير محلها منه لن يجدي أي نفع. هذا الشعب واقف ثابت وقد عرف الطريق والهدف وعرف نفسه.

الدرس الذي استلهمناه من القرآن ومن الإسلام هو درس الصمود والجهاد

---

[٦] سورة إبراهيم، الآية ١٢ .

والوحدة والاتحاد. اتحاد القلوب والأيدي مع بعضها. وهذا الأمر لا يختص بشعبنا، بل هو اتحاد في العالم الإسلامي. لاحظوا اليوم أن من النقاط التي يشدّد عليها أعداؤنا بقوة هي تأجيج الخلافات المذهبية.. الشيعة والسنة. أشخاص لا يؤمنون بالتشيع ولا بالتسنن، ولا يعترفون بأساس الإسلام، يعملون طبقاً لرغبات الأجهزة التجسسية الأمريكية والإسرائيلية، ويقفون خلف مكبّرات الصوت ليبدوا قلقهم من انتشار التشيع! وهل تفهمون ما هو التشيع؟! وهل تفهمون ما هو التسنّن؟! إنكم لا تؤمنون بأصل الدين. سياسة الاستكبار وسياسة الأجهزة التجسسية في الوقت الحاضر هي أن تخيفنا من بعضنا، الشيعة من السنة، والسنة من الشيعة.. وتبث الخلافات وتشعل النزاعات. سبيل الغلبة على الأعداء هو التفكير والاتحاد وتقريب القلوب وتعاضد الأيدي. وبهذه الطريقة يتحقق قوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾[٧]، وينصر الله تعالى بفضله ولطفه أهداف البعثة ودساتيرها وبرامجها على كل مؤامرات الأعداء.

نتمنى أن ينزل الله تعالى بركاته عليكم وعلى الشعب الإيراني وعلى الأمة الإسلامية أكثر فأكثر، ويحشر الروح الطاهرة لإمامنا الخميني الجليل ـ وهو الذي دلّنا على هذا الطريق وفتحه أمامنا ـ مع أوليائه ومع الأنبياء والأئمة المعصومين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[٧] سورة التوبة، الآية ٣٣ .